دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	نابلس في العصر المملوكي 648 - 923هـ (1250 - 1517م)
المؤلف الرئيسي:	العزة، رئيسة عبدالفتاح طلب
مؤلفين آخرين:	خرابشة، سليمان عبد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1995
موقع:	اربد
الصفحات:	1 - 193
رقم MD:	729884
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	نابلس، التاريخ الاسلامي، عصر المماليك
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/729884

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الأول

جغرافية نابلس

استمدت نابلس أهميتها من موقعها الجغرافي والاستراتيجي المميز، وتلفظ نابلس بفتح النون وألف، وضم الباء الموحدة، واللام وسين مهملة في آخرها(١) وقد احتفظت نابلس بهذه التسمية منذ بنائها مع بعض التحريف لكون هذه التسمية مأخوذه عن اللفظة الأغريقية NeaPolis بمعنى "المدينة الجديدة" وذلك تمييزاً لها عن شكيم Shechem القديمة، التي ثارت على الرومان مما دفع الامبراطور الروماني نيرون(٢) (٥٤-٦٨)م الى تدميرها على يد قائده فاسبسيانيوس(٣) الذي أعاد تأسيس مدينة جديدة عرفت باسم نابلس في ما بين (٧١-٧٢م)(٤)، غرب المدينة المدمرة، وفي موقع قرية Mabartha (٥) وقد أكد ذلك بعض قطع العملة الرومانية التي اكتشفت في نابلس وحملت تاريخ تأسيسها اي ما بين سنة احدى وسبعين واثنين وسبعين

---

(١) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدا لله بن عبدا لله: معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩، ج٥، ص ٢٤٨، وسيشار اليه فيما بعد، ياقوت الحموي: معجم البلدان، أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البدان، اعتنى بتصحيحة رينود وكوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، ص٢٤٠ وسيشار اليه فيما بعد، أبو الفدا: تقويم البلدان. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق: مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج٣، ص١٣٤٧ وسيشار اليه فيما بعد البغدادي: مراصد الاطلاع، القلقشندي أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الأنشا، تح محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١ ١٩٨٧م، ج٤ ص١٠٦و١٠٧ وسيشار اليه فيما بعد.القلقشندي: صبح الأعشى. ابن السباهي زادة: أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك، لوحة رقم ٩٣، مخطوط مصور على ميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، وشريط رقم ٥٥٩ وسيشار اليه فيما بعد. ابن السباهي: أوضح المسالك.

(٢) نيرون (٥٤-٦٨م) من الأباطرة الرومان، اتسمت فترة حكمة بتدهور الادارة الرومانية وعلاقاتها بالممالك العميلة لها في الشرق وقد اثير الجدل حول هذه الشخصية فقد عُدَّ بانه منبع الجنون ونسب اليه حريق روما سنة ٦٤م. سيد أحمد الناصري: تاريخ الأمبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية. القاهرة، ط٢، د.ت، ص ١٥٩-١٦٦. وسيشار اليه فيما بعد، الناصري: الإمبراطورية الرومانية.

(٣) فاسبسيانيوس (٧٠-٩٦م) ويعّد مؤسس الاسرة الفلافية التي حكمت الامبراطورية الرومانية فترة وقد اتبع في حكمه سياسة الاصلاح داخل الامبراطورية، الناصري: الامبراطورية الرومانية، ص١٩٦.

(٤) سعيد البيشاوي: نابلس الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، د.ن، عمان ١٩٩١، ص١٥، وسيشار اليه فيما بعد البيشاوي، نابلس.

(٥) قرية ما برثا Mabartha تقع غرب مدينة شكيم ويذهب البعض الى انها قرية بلاطة المعروفة الآن شرقي نابلس وهذه القرية كانت قرب معبد شكيم. جونز،أ.هـ: مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة احسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع،ط١، عمان، ١٩٨٧، ص٩٥ وسيشار اليه فيما بعد جونز: مدن بلاد الشام.

بعد الميلاد(١). ومدينة شكيم التي دمرها الرومان واحدة من أقدم المدن الكنعانية في فلسطين، والمعنى اللغوي لشكيم الكتف او المنكب ومما يؤكد المعنى اللغوي ان شكيم تقع في سفح جبل عيبال، أي ان المدينة شيدت على كتف الجبل(٢).

وقد ذكرت نابلس في العهد القديم بإسم شكيم(٣)، في ما ذكرت في العهد الجديد بإسم سوخار(٤) بمعنى: السكر والكذب، كصفتان اشتهر بهما اهل شكيم(٥)، ولما دمرت شكيم عرفت المدينة المقامة باسم نابلس ورغم اشتهار المدينة بإسمها الجديد نابلس وذيوعه، فإن المصادر اللاتينية قد درجت على تسميتها بالسامرة(٦). ولا يعرف السبب في الإصرار على استخدام هذا الاسم بدلاً من نابلس رغم مرور فترة طويلة على تجذّر هذا الاسم ويلاحظ بأن هناك اختلاف بين المؤرخين والجغرافيين الغربيين في كتابة نابلس، فالمؤرخون اللاتينيين يكتبوها بصيغة Naplouse و NeaPolis، بينما ترد في مواضع اخرى بصيغة نيابوليم NeaPolim أو نيابولي Neapoli (٧)، وينسحب هذا الاختلاف على المراجع الاوروبية الحديثة إذ تكتب بالفرنسية الحديثة بصيغة Naplouse نابلوس(٨).

---

(١) بورشارد من جبل صهيون: وصف الارض المقدسة، ترجمة سعيد بيشاوي،دار الشروق عمان، ١٩٩٥، هامش ص١٠٨ وسيشار اليه فيما بعد بورشارد: وصف الارض المقدسة، جونز. مدن بلاد الشام ص٩٥.

(٢) بيشاوي: نابلس، هامش ص٥٣.

(٣) الكتاب المقدس، سفر التكوين، ٣٣:٤.

(٤) الكتاب المقدس: سفر يوحنا ٤:٥ وانظر ايضاً.
Anonymus Pilgrims, Tr. From the original Latin by Aubrey- Stewart, London, 1894 in P.P.T.S. Vol. 1 Page 36.

(٥) جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، بيروت ١٨٩٤،١٩٠١ ج١، ص٦٢٤ وسيشار اليه فيما بعد بوست؛ قاموس الكتاب المقدس.

(٦) دانيال الراهب: رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب، ترجمة سعيد بيشاوي، د.ن، عمان،ط١، ١٩٩٢ ص١٠٨، وسيشار له فيما بعد دانيال: رحلة دانيال الراهب.

(٧) Genevieve, B:B; Le Cartulaire Du Chapitre Des Saint sepulcre De Jerusalem P.P 86.92.93.96.97

(٨) Enlart,C: Les Monuments des Croises dans Le Royaume de- Jerusalem Vol II Paris 1928 Page 282.

أما في الانجليزيـة فتكتب بصيغة Nablus نابلس(١). وتقع المدينة على خـط طـول ٥٧ درجة و ٣٠ دقيقة وخط عرض ٣٠ درجة(٢).

وقد تمتعت منطقة نابلس بموقع جغرافي هام، اذ انهـا تتوسـط الأقليـم الجبلـي الفلسـطيني بصفة عامة وجبال نـابلس بصفـة خاصـة، وهـذا الموقـع اكسـبها اهميـة اسـتراتيجية مـن حيـث الحصانـة، اذ أن الموقـع المتوسـط سـهل امكانيـة الدفـاع عـن المنطقـة في حالـة تعرضهـا لإعتـداء خارجي(٣) ، ولكن حصانـة المنطقة ذات الريـف المتسـع الـذي يمكنهـا مـن التصـدي لمحـاولات الاعتداء لا يعني بالضرورة حصانة المدينة ذاتها، فوليم الصوري يذكر بأن مدينة نـابلس لم تكـن محصنة و لم يكن لها اسوار او تحصينات خارجية ولا حتـى خنـدق(٤) ،أمـا بورشـارد فيذكـر "ان مدينة نابلس بين جبلين لكنها غير محصنة، ولا يمكن ان تحصن بأي حال من الأحوال. وكـل مـا يستطيع السكان ان يفعلوه اذا اقـترب العـدو مـن احـدى بوابـات المدينـة ان يهربـوا مـن البوابـة الاخرى، هذا اذا كانوا اقل من الناحية العددية، حيث تقع المدينة في وادٍ بين جبال مرتفعة جداً، وبهذا يمكن لأي شخص ان يرمي الحجارة بواسطة اليد الى داخل المدينة"(٥)، واعتماداً علـى مـا أورده وليم الصوري وبورشارد يتبين ان المدينة لم تكن محصنة تحصيناً جيداً، وانها اعتمدت على ريفها المتسع الذي مثل بالنسبة لها عمقاً اسـتراتيجياً مكنهـا مـن المقاومـة والصمـود في الاوقـات الحرجة، يضاف الى ذلك ان الموقـع المتوسـط قـد اكسـبها اهميـة تجاريـة كـبرى اذ غـدت محط

(١) RICHARD, J:the latin kingdom of Jerusalem, Vol A Amsterdam , 1979, P.P. 19,21.24.
أما الرواية العربية فقد اشارت لسبب أخر مغاير لتسمية المدينة بهذا الاسم فقالت ان شيخاً من اهل المعرفة مـن نـابلس قـال بأنهـا: انه كان ها هنا وادٍ فيه حية قد امتنعت فيه وكانت عظيمة جداً وكانوا يسمونها بلغتهم "لس" فاحتالوا عليها حتى قتلوهـا وانتزعوا نابهـا وجاءوا بها وعلقوها على باب هذه المدينة فقيل هذا ناب "لس" اي ناب الحية ثم كثر استعمالها حتى كتبوهـا متصلـة نـابلس هكـذا، وغلب هذا الاسم عليها ياقوت، معجم البلدان ، ج٥، ص٢٤٨.

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤ ص١٠٧.

(٣) عبدالله عارف: مدينة نابلس "دراسة اقليمية" دمشق ١٩٦٤م ص١٢، وسيشار اليه فيما بعد، عبدالله عارف: مدينة نابلس.

(٤) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية والاعمال المنجزة فيما وراء البحار، ت، سهيل زكار، دار الفكـر، دمشـق ط١، ١٩٩٠ ج١، ص٦٩٠ وسيشار اليه فيما بعد، وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية.

(٥) بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص١٠٨.

القوافل القادمة من الشرق والمتجهة غرباً نحو البحر او القادمة من الجنوب الى الشمال وكانت هذه القوافل مضطرة للمرور بنابلس لكونها تشغل الممر الضيق الذي يصل الغور بالبحر في تلك النواحي(١) وللوقوف على الأهمية الأستراتجية للمنطقة يجدر بالباحث دراسة المنطقة من الناحية الجغرافية والتعرف الى أقسام السطح فيها.

أولاً: الجبال

وهي تشكل الجزء الشمالي من سلسلة الجبال الفلسطينية. والتي يحدها من الشمال الغربي سلسلة جبال الكرمل وتطل هذه السلسلة من الشمال على مرج(٢) إبن عامر ومن الشرق على غور الاردن ومن الغرب تنحدر باتجاه البحر المتوسط ويحدها من الجنوب جبال القدس ويبلغ طولها حوالي ٤٠ كم ومتوسط عرضها ٤٠ كم(٣).

وقد اشتهرت جبال نابلس بحسن مناظرها ووعورة بعض أقسامها وخصب اوديتها(٤) ويشكل الجزء الاوسط من جبال نابلس الغربية هضبة يقسمها وادي اسكندر الى قسمين:

القسم الأول يطلق عليه جبل جرزيم والقسم الثاني ويطلق عليه جبل عيبال(٥).

---

(١) عبد الله عارف، مدينة نابلس، ص١٢.

(٢) مرج: بالفتح ثم السكون والجيم. وهي الارض الواسعة فيها نبت كثير تَمْرَجُ فيها الدواب اي تذهب وتجيء، وأصل المرج القلق ويقال مَرَج الخاتم في يدي مرجاً اذا قلق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص١٠٠.

(٣) كامل خالد الشامي: جغرافية فلسطين "دراسة الاقاليم الطبيعية، جامعة سبها ١٩٩١، ص٣١-٣٢ وسيشار اليه فيما بعد كامل الشامي: جغرافية فلسطين.

(٤) خليل طوطح: جغرافية فلسطين، مطبعة بيت المقدس، القدس، ١٩٢٣، ص١١ وسيشار اليه فيما بعد خليل طوطح: جغرافية فلسطين.

(٥) كامل الشامي، جغرافية فلسطين، ص٣٢.

أولاً: جبل جرزيم

ويقع جنوب غرب نابلس وبينه وبين عيبال واد ضيق(١) ، ويرتفع عن سطح البحر ٨٨١م. وقد ذكر في التوراه بإسم كريزم اذ لليهود فيه اعتقاد عظيم(٢).

كما ذكر بإسم جبل الطور(٣) ويعرف بإسم الجبل القبلي، وهو جبل مقدس عند السامريين لأنهم يعتقدون انه الموضع الذي اراد ابراهيم عليه السلام ذبح ابنه اسحق عليه(٤). والجبل مركب من الحجر الكلسي وهو عارٍ من الأشجار إلا من بعض جوانبه، وتتركز كثير من الينابيع المائية في هذا الجبل، وتتفجر عند منحدراته الشمالية اثنتان وعشرون عيناً منها عين الصبيان ورأس العين وعين بيت الماء (٥) ونهر أبي فطرس القريب من الرملة الذي يخرج من عيون متصلة بجبال نابلس(٦).

---

(١) اندراوس كرشه: يوغاركي ابيض: الثمار الشهية جغرافية المملكة العثمانية، المطبعة الوطنية، طرابلس الشام، ١٩١٢ ص١٨٠ وسيشار اليه فيما بعد كرشة، الثمار الشهية.

(٢) البغدادي: مراصد الاطلاع ج٣، ص١٣٤٧ ابن شداد؛ عز الدين ابي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم: الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (تاريخ لبنان والاردن وفلسطين، تح سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية دمشق ١٩٦٢ ص٢٧٨ وسيشار اليه فيما بعد ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥، ص٢٤٨.

(٣) الهروي، أبي الحسن علي بن أبي بكر: الاشارات الى معرفة الزيارات، تح جانين سورديك، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣ ص٩٦ وسيشار فيما بعد الهروي الاشارات الى معرفة الزيارات. والطور في اللغة العبرانية اسم لكل جبل ثم صار علماً لجبال بعينها منها طور زيتا بالقدس وجبل الطور المطل على طبرية وطور سينا: ابن السباهي: أوضح المسالك لوحة رقم ١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٦ وانظر ايضاً كرشه: الثمار الشهية ص١٨٠-١٨١ ومما يجدر ذكره في هذا المجال ان اليهود يعتقدون بأن مسألة الذبح قد تمت على جبل موريا بالقدس وليس على جبل جرزيم وجبل موريا عند اليهود بمعنى الجبل المختار وهو احد الجبال الاربعة التي شيدت فوقها مدينة بيت المقدس. عبد الحميد زايد: القدس الخالدة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٤. ص٣١. واذا كان اليهود يتفقون مع السامريين على ان اسحق هو الذبيح مع الاختلاف في تحديد الموقع الا ان هذا الاتفاق يتنافى وعقيدتنا كمسلمين اذ الثابت في العقيدة الاسلامية ان الذبيح هو اسماعيل وان مكان الذبح هو مكة ولالقاء المزيد من التفاصيل على هذه القضية انظر سورة الصافات الآية ١٠٢-١٠٧ سيد قطب: في ظلال القران، ج٢٣ دار الشروق، بيروت ط١ ١٩٨٥ ص٦٣-٦٦. الطبري: ابي جعفر محمد بن جرير: تاريخ الامم والملوك دار الفكر للطباعة والنشر، د.م ١٩٧٩ ج١، ص ١٢٨-١٣٥. وسيشار اليه فيما بعد الطبري: تاريخ الأمم.

(٥) محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، دار المأمون للتراث دمشق، ط١، ١٩٨٧ ص٢٥٣، وسيشار اليه فيما بعد شراب: معجم بلدان فلسطين.

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣١٥.

ثانياً: جبل عيبال

ويعرف بإسم جبل ست سلمية "او جبل اسلامية نسبة الى أخوين من الأولياء ماتا ودفنا في محل واحد(١) ، وهو أعلى قمم جبال نابلس اذ يرتفع ٩٤٠م عن سطح البحر(٢) وهو من الصخر الكلسي اجرد سوى بعض جوانبه التي تكسوها اشجار الزيتون وقمة عيبال سهل فسيح يمكن للواقف عليه ان يرى قسماً كبيراً من المناظر الخلابة(٣) ، ومن جبال نابلس العرقه، ويرتفع عن سطح البحر ٨٤٣م ويدعى بذلك نسبة الى خربة العرقة المجاورة(٤) وجبال فقوعة وتقع على سفوحها قرية فقوعة وقدسميت الجبال بهذا الاسم نسبة لهذه القرية(٥). وجبل عبيدي غرب نابلس(٦) وتكون الجزء الشمالي الشرقي من جبال نابلس. وجبل الجعيدي غرب نابلس ايضاً(٧) . والجبل الأبيض ويقع غرب نابلس ايضاً(٨) ، وجبل القرد غرب نابلس(٩) ، وجبل الخروب في قرية بيت وزن(١٠) ، وجبل عجره في بيت وزن ايضاً (١١) ، وجبل دير حميد(١٢)، وجبل حزام، في قرية بيت وزن(١٣) وجبل النوبة قرب قرية برقا(١٤) وجبل الرامي قرب قرية اجنسنيا(١٥) وجبل عين عيناء وهو من الجبال المرتفعة حيث يصل ارتفاعه الى ٩٠٤ م عن سطح البحر وهو

---

(١) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين (في الديار النابلسية)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١،د:م، ج٢، ق٢، ١٩٧٠ ص٢٣ وسيشار اليه فيما بعد الدباغ: بلادنا فلسطين خليل طوطح: جغرافية فلسطين، ص١٣.

(٢) عبدا لله عارف: مدينة نابلس، ص٢٤.

(٣) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢،ق٢، ص٢٢.

(٤) محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٥٣٠.

(٥) أسعد منصور: مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب المقدس، ص٧٧ ويعرف جبل فقوعة بإسم جبل جلبوع لكثرة تكرار الاسم من السياح الذين يأتون لتلك المنطقة.

(٦) سجل محكمة نابلس الشرعية، رقم ١٧ ص٧.

(٧) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٣ أ ص١١٤ وسجل رقم ١٧ ص٧٢.

(٨) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٢ ص٢٩ وسجل رقم ١٤ ص ٢٩٦ وسجل رقم ١٧ ص٢٩.

(٩) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٨ ص٧٣.

(١٠) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٤ ص٣١٢.

(١١) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٤ ص٣١٢.

(١٢) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ٢٠ ص١٩١.

(١٣) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٢ ص ١٥٢ وسجل رقم ١٤ ص ٣٠٣.

(١٤) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٣ أ ص٩١.

(١٥) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٧ ص٦٨٤.

ثاني اعلى قمم جبال نابلس وسمي كذلك نسبة الى قرية عين المجاور(١) وجبل الركبة ويقع بين قريتي قبلان وجوريش ويرتفع ٨٩١م وهو ثالث قمم نابلس(٢).

ثانياً: السهول الداخلية

تقع هذه السهول شرق مدينة نابلس وتمتد على شكل شريط ضيق فيما بين الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوب الغربي وبموازاة قرية بيت دجن(٣) وتتجه هذه السهول نحو الشرق بعرض لا يتجاوز ٢,٥كم ويبلغ اقصى عرض لها ٨,٥كم بين بيت دجن وعسكر(٤) ويبلغ طول هذه السهول من جنوب حوارة(٥). الى عزموط(٦) في الشمال حوالي ١٢كم تقريباً وهي عبارة عن منطقة منبسطة قليلة الارتفاع تكسوها تربة فيضية عميقة تصلح للزراعة(٧)، وهي معتدلة المناخ وتزرع فيها الحبوب والقطاني على اختلاف انواعها كالقمح والشعير والفول والعدس(٨). ومن اشهر هذه السهول: سهل عرابة وهو احد اكبر السهول الداخلية شبه المغلقة بين مرتفعات نابلس، ويمتد في قضاء جنين شمال عرابة ويتراوح ارتفاعه عن سطح البحر بين ٢٣٠-٢٤٥م وهو يتخلل جبال نابلس، وقد عرفه الكنعانيون بإسم سهل دوثان ويجري في هذا السهل وادي

---

(١) محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٥٥٩.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢ ق٢، ص٢٤.

(٣) بيت دجن: قرية تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس انظر.
Beyer, G. Neapolis und sein Gbiet in der Kreuzfahrerzeit in Z.D.P.V.LX 11 (1940) P. 184.

(٤) عسكر: قرية تقع على بعد ميل واحد شرق نابلس واشتهرت بكثرة اشجار الزيتون المزروعة في اراضيها حتى سميت عسكر الزيتون، ياقوت الحموي: معجم البدان، ج ٤ ص١٢٣ انظر ايضاً.
Fetllus. Description of Jerusalem and the Holy Land in P.P.T.S. Vol.V, ,London 1892, P.34.

(٥) حوارة قرية تقع الى الجنوب من مدينة نابلس وتبعد عنها مسافة ٩كم. Beyer: Neapolis und Sein Gbiet P: 190.

(٦) عزموط: وتقع الى الجهة الشرقية من نابلس وعلى مسافة ٥كم منها وتزرع فيها الحبوب وتشرب من مياه الامطار، الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢ ق٢، ص٢٨٤.

(٧) عبد الله عارف: مدينة نابلس ص٢٥.

(٨) إحسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، مطبعة عمال المطابع التعاونية، نابلس ط٢، ١٩٧٥، ج١، ص٤٤ وسيشار اليه فيما بعد احسان النمر: تاريخ جبل نابلس.

النص الذي ينتهي في نهر المفجر ووادي دعوق الذي يسيل بين قريتي فحمة ومركية(١) في الجهة الشرقية لعرابة.

ثم سهل صانور احد السهول الصغيرة الواقعة في جبال نابلس وينسب الى قرية صانور الواقعة عند زاويته الجنوبية الغربية ويرتفع ٣٥٠م عن سطح البحر وتملؤه الامطار والوديان التي تصب فيه من الجبال المجاورة في فصل الشتاء فيصبح بحيره او مستنقعاً ضحلاً مما يجعل البعض يسميه سهل الغرق ونظراً لتأخر جفافه يبقى مدة طويلة من السنة غير صالح للزراعة(٢) اضافة الى سهل مخنه او بورين الممتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وسهل سالم جنوب قرية سالم وسهل عسكر. المنسوب الى قرية عسكر وسهل البقيعة جنوب شرق طمون(٣) وسهل الكفير وقوصين(٤) وكفراستونا(٥) .

ثالثاً: الغور(٦) النابلسي

وهوجزء من حفرة الانهدام الاسيوي العظيم، التي تشكلت بفعل انفساح هائل على وجه الارض(٧) ، ويبدأ الغور النابلسي في الشمال عند قرية عيون ام خيسة الواقعة عند مصب وادي شوباش ومن الفاطور والقاعون وينتهي في الجنوب عند مضارب عرب الكعابنة على

---

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢،ص٢٨. Beyer: Neapolis und Sein Gbiet. P 192

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢،ص٢٨.

(٣) طمون: تقع شمال شرق نابلس بجبالها الشاهقة وتبعد عن نابلس ٢٣كم: بورشارد وصف الارض المقدسة، ص١٠٣.

(٤) قوصين، تقع جنوب قرية بيت شرف وهي وعرة المسالك مبنية على رأس جبل مرتفع ذكرها ياقوت باسم كوسين ونسب اليها الفضل بن زيد الكوسيني. ياقوت الحموي: معجم البدان، ج٤ ص٤٨٩.

(٥) كفرا ستونا تقع هذه القرية الى الجنوب الشرقي من نابلس
Hutteroth, W.D. and K. Abdalfattah: Historical Geography of Palestine, for Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen 1977, P 133

(٦) الغور: المنخفض من الأرض وقيل الغورما تداخل وهبط وغور الاردن بالشام بين القدس ودمشق وهو منخفض عن أرض دمشق والقدس وذلك سمي الغور طولة مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم فيه نهر الاردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية واشهر بلاده بيسان بعد طبرية وهو وخم شديد الحرارة غير طيب الماء واكثر ما يزرع فيه قصب السكر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ ص٢١٦-٢١٧.

(٧) خليل طوطح: جغرافية فلسطين، ص٢٣.

حدود قضاء القدس، وكذلك للجنوب من خربتي فصايل والدشة(١) وقد اشار الى الغور النابلسي الهروي حيث قال: غور نابلس به قرية يقال لها عمًّا بها قبر ابي عبيده ابن الجراح رضي ا لله عنه(٢) ، وتمتاز هذه المنطقة بإرتفاع كبير في درجات الحرارة؛ لذلك تنمو فيها مزروعات المناطق الحارة كالنخيل والموز والنيلة والارز والقطن(٣) ، كما تمتاز هذه المنطقة بتدني كثافتها السكانية(٤) ، وذلك بسبب الارتفاع الكبير في درجات الحرارة كما سبق واشرنا.

أما مناخ نابلس فيمتاز بالاعتدال لكونها تقع ضمن أقليم البحر الابيض المتوسط الذي يمتاز بفصل صيفي حاف يمتد لأكثر من ستة شهور في السنة وبفصل شتاء بارد ماطر قصير ويتراوح متوسط درجة الحرارة بين ٩° في كانون الثاني و٢٤° في تموز(٥) ، والمناخ في شمال جبال نابلس لا يختلف عنه في جنوبها والفرق في درجات الحرارة عند اعلى قمة لا يزيد على ٢ مئوية و٣مئوية عن المتوسط العام لدرجات الحرارة في المناطق الاخرى والسبب في ذلك يعود الى عامل الارتفاع اما الاطراف الشرقية المطلة على غور الاردن، فترتفع فيها درجات الحرارة الى ١٠مئوية عن المعدل العام للحرارة(٦) ، ولتعدد المناخ في جبل نابلس ومجاورته للبحر المتوسط وحفرة الانهدام في الشرق يظل هواؤه متبدلاً فيمر نسيم البحر من الغرب الى الشرق ونسيم البر الى البحر غرباً بلا إنقطاع لذلك يمتاز بالاعتدال(٧).

وتزيد كمية الامطار السنوية الهاطلة على نابلس على ٦٣١ملم وان كانت متذبذبة من سنة الى اخرى ومن شهر الى آخر وتتركز الامطار في اشهر الشتاء وتبلغ ذروتها في شهر كانون

(١) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢ ص٣٩.

(٢) الهروي: الاشارات الى معرفة الزيارات، ص١٧.

(٣) المقدسي: شمس الدين ابي عبد ا لله محمدبن احمد بن ابي بكر: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ليدن، ١٩٦٧، ص١٧٩، وسيشار اليه فيما بعد المقدسي: احسن التقاسيم حيث يورد المقدسي اوصاف الغور بأنه بلد الحر والنيل والموز والنخيل.

(٤) Beyer: Neapolis und Sein Gbiet P. 203.

(٥) عبد ا لله عارف: مدينة نابلس، ص٣٠.

(٦) كامل الشامي: جغرافية فلسطين، ص٣٣.

(٧) احسان النمر: تاريخ جبل نابلس، ص ٤٥.

الثاني وتتفاوت كمية الامطار من جهة الى اخرى داخل مدينة نابلس فتتلقى جبال المدينة كميات اكبر بكثير مما تتلقاه الأودية والسهول الداخلية(١) ففي حين تسقط على الاطراف الغربية والشمالية والجنوبية كميات من الامطار تتراوح بين ٦٠٠-٧٠٠ملم فإن الاطراف الشرقية لا تزيد فيها كمية الامطار عن ١٠٠-٢٠٠ملم في العام كما تسقط الثلوج ابان موسم الشتاء على القمم الجبلية التي يصل ارتفاعها الى ٧٠٠م بصورة متفرقة وفي القمم التي يصل ارتفاعها الى ٩٠٠م تسقط الثلوج عليها بصورة منتظمة(٢).

أما فيما يتعلق بالوضع المائي لنابلس فقد توفر لها ثلاثة موارد أساسية للمياه ويأتي في طليعة هذه الموارد مياه الامطار والتي تعّد المورد الاساس الذي اعتمد عليه المزارعون في انشطتهم الزراعية في هذه المنطقة، ولعل كميات الامطار الساقطة على منطقة نابلس كافية لانبات المزروعات المختلفة(٣). كما تشرب منها قرى بأكملها عن طريق تجميعها في ابار خاصة في موسم الشتاء ويلي مياه الامطار في الاهمية الينابيع والعيون التي اشتهرت بها منطقة نابلس واعتبرت مصدراً ثانياً وهاماً اعتمدت عليه المنطقة في انشطتها المختلفة واليها اشار الكثير من الجغرافيين والرحالة المسلمين والاجانب الذين زاروا المنطقة وسجلوا انطباعاتهم حول هذا المورد فيتحدث الحموي عن نابلس ذاكراً بأنها كثيرة المياه(٤)، اما الحنبلي فقد وصفها بأنها كثيرة الاعين(٥) وكذلك النابلسي الذي وصفها بكثرة الاعين(٦)، اما الحجاج والرحالة الغربيون الذين زاروا المنطقة فقد لفت انظارهم كثرة مياه العيون في نابلس فدونوا ذلك في رحلاتهم فيذكر دانيال بانه يتخلل نابلس عدد من الينابيع العذبة الباردة المياه(٧).

---

(١) عبد الله عارف: مدينة نابلس، ص ٣٤.

(٢) كامل الشامي: جغرافية فلسطين، ص٣٣-٣٤.

(٣) عبدالله عارف: مدينة نابلس، ص٣٨.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٨.

(٥) الحنبلي، ابو اليمن مجير الدين: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان ١٩٧٣، ج٢، ص٧٥ وسيشار اليه فيما بعد الحنبلي: الانس الجليل.

(٦) النابلسي، عبد الغني: الحضرة الانسية في الرحلة القدسية، تح اكرم حسن العلبي، دار صادر، بيروت ط١ ١٩٩٠، ص٧٤ وسيشار اليه فيما بعد النابلسي: الحضرة الانسية.

(٧) دانيال: رحلة دانيال الراهب ص١٠٨-١٠٩.

ولعل في كثرة ما حفلت به المصادر من اشارات الى مياه العيون في نابلس ما يجعلنا نستنتج ان المنطقة كانت في طليعة المناطق الفلسطينية ان لم تكن اكثرها غنى بمياه الينابيع والتي منها الينابيع المرتفعة حيث يشرب منها السكان مثل عين العسل أو المنخفضة التي تروى منها البساتين مثل عين القصب(١) ، ولعله من المفيد ان نذكر بأن هناك قرى كثيرة في نابلس تشرب من مياه الينابيع والعيون الموجودة فيها مثل برقه(٢) وعسكر وبلاطة(٣) وغيرها وانه يتفجر من المنحدرات الشمالية لجبل الطور اثنتان وعشرون عيناً(٤) ولا يخفى ان كثرة هذه العيون والينابيع قد ساهمت في تطوير الاقتصاد النابلسي إذ ادارت هذه العيون والينابيع الطواحين المائية والتي درت على اصحابها الاموال الكثيرة(٥) فقد استخدم سكان نابلس الطاقة المائية في إدارة الطواحين لطحن الحبوب ومعاصر الزيتون وقصب السكر مما ساعد على تطوير اقتصاد المنطقة.

وأخيراً تأتي مياه الانهار أو ما نطلق عليه في مصادرنا الاسلامية بإسم المياه الجارية والى هذا المورد اشار الجغرافيون فالاصطخرى يقول "فلسطين ماؤها من الامطار واشجارها وزروعها اعذاء(٦) -بعيدة عن الماء- إلا نابلس فإن بها مياهاً جارية(٧) وتحدث القلقشندي عن ذلك بقوله

(١) احسان النمر: تاريخ جبل نابلس، ج١، ص٥٤٩.

(٢) برقة: قرية تقع شمال غرب نابلس وتبعد عن نابلس مسافة ١٨كم. Beyer: Neapolis und sein Gbiet P.192.

(٣) بلاطة: قرية تقع شرق مدينة نابلس وتبعد عنها ٣كم ذكرها ياقوت بأنها من اعمال نابلس وبها دفن يوسف الصديق عليه السلام، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج١، ص٤٧٨. Beyer: Neapolis und Sein Gbiet P. 168-169.

(٤) محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص ١٥٢.

(٥) Hutteroth; Historical Geography of Palestine P. 33.

(٦) اعذاء: بمعنى البعد عن الماء ان ذلك يعني بما ان الزروع بعيدة عن الماء فأن هنالك مصدر اخر تعتمد عليه تلك المزروعات في حياتها الا وهو الطل بمعنى الندى وهو ما اشار اليه القران الكريم في قوله تعالى " كمثل جنة بربوة اصابها وابل فأتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل" سورة البقرة الاية ٢٦٥ ولقد لفتت هذه الظاهرة نظر الرحالة البرتغالي برتراندون دى لا بروكير اثناء زيارته لفلسطين فسجلها وكان اكثر دقة من الاصطخري حين شرحها واشار الى اعتماد الزراعة في فلسطين على الندى كمصدر رئيسي في حياتها برتراندون دي لابروكير: رحلة برتراندون، ت محمود زايد، مجلة ابحاث الجامعة الامريكية ع ٣ بيروت ١٩٦٢ ص ٣١٢ وسيشار اليه فيما بعد برتراندون: رحلة برتراندون.

(٧) الاصطخري: أبي اسحق ابراهيم بن محمد القارسي مسالك الممالك، مطبعة بريل ليدن ١٩٦٧ ص٥٦، وسيشار اليه فيما بعد الاصطخري مسالك الممالك.ابن السباهي: أوضح المسالك، مخطوط، لوحة ٩٣ وزاد ابن السباهي أن فلسطين أرخى بلاد الشام.

"وليس بفلسطين بلده فيها ماء جار سواها وباقي ذلك شرب اهله من المطر وزرعهم عليه(١) أما شيخ الربوة فقد وصفها بأنها ذات مياه جارية(٢)، في حين وصفها ابن بطوطة بقوله" انها مطرده الانهار"(٣) ، أما النابلسي فقد أشار الى الماء في المدينة بالجمام اي لغزارته وعذوبته(٤) ونخلص من خلال هذه الشواهد عن تصور واضح للوضع المائي في منطقة نابلس بحيث يصح القول أن المنطقة موضوع الدراسة كانت في طليعة المناطق الفلسطينية غنى بالمياه ولا عجب في ذلك فكمية الامطار المتساقطة على المنطقة لا تقل عن ٦٠٠ملم، وهي كمية كافية لتحقيق الجريان ولكن يجب ان لا ننسى ايضاً ان تلك الكمية المتساقطة من الامطار تتأثر بعوامل مختلفة ويأتي في طليعتها معدلات التبخر، وطبيعة الصخور، واستعمالات الأراضي، وهي عوامل من شأنها تحديد كمية الجريان وفصليته وعليه فإننا نستنتج ان المياه الجارية في منطقة نابلس تقسم الى مياه دائمة الجريان وفصلية الجريان(٥) .

ومن المياه دائمة الجريان في نابلس وادي الفارعة ويبدأ في جبال نابلس الى الشمال من عيبال وبالقرب من قرى عصيره الشمالية(٦) وطلوزة(٧) ثم ينحرف نحو الجنوب الشرقي محاذياً الجبل الكبير حتى يصل الى نهر الاردن الى الجنوب من جسر دامية، ويعتبر هذا الوادي من أهم

---

(١) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٤، ص١٠٧.

(٢) شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبدا لله محمد ابي طالب الانصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر طبع في ليبزج، ١٩٢٣ ص٢٠٠ وسيشار اليه فيما بعد شيخ الربوة: نخبة الدهر.

(٣) ابن بطوطة، ابو عبدا لله محمد بن محمد بن ابراهيم اللواتي: تحفة النظار في عجائب الامصار المعروفة برحلة ابن بطوطة ص٥٦. ويقصد ابن بطوطة بقوله انها مطردة الانهار بمعنى دائمة الجريان.

(٤) وقد تغنى النابلسي بالماء في نابلس بقوله:

ايها الغادي على نابلـــــس جئت خير الارض والناس الكراما

الفناء الرحب والعيش الرضي والهواء العذب والماء الجمامـــا

النابلسي: الحضرة الانسية ص٧٥.

(٥) عبد الله عارف: مدينة نابلس، ص٤٠.

(٦) عصيرة الشمالية: قرية كبيرة تقع شمال نابلس يفصل بينهما جبل عيبال وتبعد عن نابلس ٦كم. الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢، ق٢ ص٤٢٥.

(٧) طلوزة: قرية من قرى نابلس وتقع شمال شرق نابلس وتبعد عنها ١٥كم.,Beyer: Neapolis und Sein Gbiet P. 189.

أودية الغور وتعود أهميته لكون مياهه تجري طيلة ايام السنة اذ تتجمع من عيون متعددة تقع في أراضي قرية طلوزة وأهمها عين ادليب وعين الفارعة أو رأس البركة الواقعتان بالقرب من سرج الفارعة جنوب طوباس(١) ويلتقي في اثناء جريانه عند جسر الملاقي على طريق نابلس برافده المشهور بإسم وادي الباذان ويسير حتى يصب في نهر الاردن(٢) ، وادي التفاح يبدأ هذا الوادي من مدينة نابلس ويجري بإتجاه الغرب ويتشكل من مسيلين من جبلي جرزيم وعيبال ويأتيه وادي آخر من هضاب قرية عصيرة الشمالية، ويلتقي به قرب قرية بيت ايبا(٣) ، وبين دير شرف(٤) ورامين(٥) ويتلقى الوادي رافداً آخر قادماً من قرى برقة وبيت امرين(٦) وسبسطيه(٧) فتزداد مياهه وتجري حتى وادي الزيمير عند طولكرم(٨).

وادي الباذان وينبع من العيون الواقعة على السفوح الشرقية والجنوبية لقرية طلوزة وبعد أن تتجمع هذه العيون تلتقى في طريقها بمياه عين التبان وتبقى مياه الباذان جارية طيلة السنة إلا انها أقل غزارة من مياه الفارعة(٩).

---

(١) طوباس: قرية كبيرة شمال شرق نابلس وتشتهر بزراعة القمح وتبعد عن نابلس ٢٠كم. .Hutteroth, Historical Geography P. 125

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٢ ق٢، ص٤٤.

(٣) بيت ايبا: قرية من قرى نابلس تقع الى الغرب منها وتبعد عن نابلس مسافة ٧كم، الدباغ: بلادنا فلسطين ج٢ ق٢، ص٣٤١.

(٤) دير شرف: قرية تقع شمال غرب نابلس وتبعد عنها مسافة ٩كم، سعيد بيشاوي: الممتلكات الكنيسة في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٠ ص٢٥٨، وسيشار اليه فيما بعد بيشاوي: الممتلكات الكنيسة.

(٥) رامين: كلمة سريانية تعني الأمكنة العالية قرية تقع في الجنوب الشرقي من عنبتا وتبعد ١٧كم عن طولكرم، محمد شراب: معجم بلدان فلسطين ص٤١١.

(٦) بيت امرين: قرية تقع الى الشمال الغربي من نابلس وعلى مسافة ١٨كم، الدباغ: بلادنا فلسطين ج٢، ق٢ ص٤١١.

(٧) سبسطية بلده من فلسطين المشهورة وبينها وبين بيت المقدس مسيرة يومين نحو (٤٢ميل وتقع الى الشمال الغربي من نابلس) وهي بلده حصينة كثيرة الاشجار والعيون جزيلة الحدائق والرياض وكروم العنب وغياض الزيتون، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٨٤. النابلسي، عبد الغني: الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تح رياض عبد الحميد، دار المعرفة ط١، دمشق ١٩٨٩ ص٣٥ وسيشار اليه فيما بعد النابلسي: الحقيقة والمجاز. بورشارد وصف الارض المقدس، ص١٠٤. بنيامين بن يونه التطيلي: رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، طبع في المطبعة الشرقية، بغداد، ط١، ١٩٤٥ ص ٩٥-٩٦ وسيشار اليه فيما بعد بنيامين رحلة بنيامين.

(٨) طولكرم: اصل الاسم (طور-كرم) والطور تعني الجبل فالمعنى جبل كرم، تقع في منتصف السهل الساحلي الفلسطيني على الخط الحديدي بين حيفا وسيناء محمد شراب: معجم بلدان فلسطين ص٤١١، عبدالله عارف: مدينة نابلس، ص٤٠.

(٩) الدباغ: بلاد فلسطين ج٢ ق٢ ص٤٤.

وادي المالح وهو من الوديان التي تجري مياهه طيلة السنة ويبدأ من شرق قرية تياسير(١) وينتهي بالاردن أما الأودية الفصلية التي تسيل مياهها في فصل الشتاء فأهمها: وادي شوباش(٢) والذي يبدأ من قرية المغير(٣) ورابأ(٤) وابزيق(٥) وينتهي في نهر الاردن(٦). ووادي دوراً ويبدأ من جوار قرية طمون ماراً بأراضي قرية البقيعة ويعرف قبل مصبه بنهر الاردن بإسم ابو سدرة(٧).

ومن الاودية ايضاً وادي القاضي(٨) ، ووادي حمدان قرب قرية دير الغصون(٩) ووادي البرج في قرية تل(١٠) ووادي ابي شجرة في قرية جماعين(١١) ، ووادي قرية بيت وزن(١٢) ، ووادي القطيري في قرية بيتا(١٣) ، ووادي السبيل غرب نابلس(١٤) ، وغير ذلك من الاودية الفصلية التي تسير في منطقة نابلس في فصل الشتاء.

وقد ترك لنا الرحالة الجغرافيون الذين زاروا المنطقة انطباعاتهم ودونوا لنا مشاهداتهم بحيث أفادتنا تلك الملاحظات والمشاهدات في التوصل الى صورة حية عن نابلس في الفترة

---

(١) تياسير وهي تقع على هضبة عالية في شمال شرق طوباس وتبعد عنها ٣ كلم، بورشارد: وصف الأرض المقدسة ص ١١٠.

(٢) الدباغ: بلادنا فلسطين ج٢ ق٢ ص٣٩-٤٠.

(٣) المغير: قرية تقع في الجنوب الشرقي من نابلس على بعد ٣٤كم، الدباغ: بلادنا فلسطين ج٢ ق٢، ص٣٢٦.

(٤) رابأ: قرية تقع جنوب شرق جنين ويوجد بها مقام النبي رابين الذي اعطى القرية اسمه محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٤٠١.

(٥) ابزيق: قرية تقع في الشمال الشرقي من قرية طوباس الدباغ: بلادنا فلسطين ج٢ق٢ ص٤٥٢.

(٦) الدباغ: بلادنا فلسطين ج١ ق٢، ص ٤٢٩.

(٧) المرجع نفسه والقسم ص٤٤.

(٨) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٣ أ ص٤٩ وسجل رقم ١٧ ص٤٤٤.

(٩) دير الغصون: قرية تقع على بعد ١٢كم شمال شرق طولكرم، محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، ص٣٩٤.

(١٠) تل: قرية تقع الى الجنوب الغربي من مدينة نابلس وتبعد عنها ١٤كم الدباغ: بلادنا فلسطين ، ص٣٥٠.

(١١) جماعين: اوجماعيل قرية في جبل نابلس. وتقع الى الجنوب الغربي من المدينة وتبعد عنها مسافة ١٦كم ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٥٩-١٦٠، Beyer :G. Neapolis und sein Gbiet P. 168-169.

(١٢) بيت وزن: تقع القرية في ظاهر بيت اريبا في قضاء نابلس: محمد شراب: معجم بلدان فلسطين ص٢٠٦.

(١٣) بيتا: قرية تقع جنوب مدينة نابلس وتبعد عنها ١٣كم Hutteroth, Historical Geography P 134.

(١٤) سجل محكمة نابلس الشرعية رقم ١٤ ص٢٧٨ وسجل رقم ١٧ ص٦٠ وسجل رقم ١٩ ص٦٩.

موضوع الدراسة. فقد ذكرها الاصطخري بقوله "فلسطين ماؤها من الامطار وأشجارها وزروعها اعذاء إلا نابلس فأن بها مياهاً جارية"(١). أما الحموي فقد وصفها في معجمة بأنها مدينة مشهورة في أرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل أرضها حجر(٢).

أما شيخ الربوة الدمشقي فقد وصف المدينة وصفاً رائقاً فقال عنها "مدينة نابلس مدينة خصبة نزهة بين جبلين متسعة ما بينهما ذات مياه جارية وحمامات طيبة وجامع حسن تقام فيه الصلوات وكثير قراءة القرآن به ليلاً ونهاراً والاشتغال فيه كثير وهي كأنها قصر في بستان قد خصها ا لله بالشجرة المباركة وهي الزيتون(٣).

فيما لفت نظر البغدادي وهو يصفها ما امتازت به المدينة من الجمال والنظافة فقال عنها مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة الماء نظيفة(٤). أما ابن فضل ا لله العمري فقد ذكرها بقوله "مدينة ممدنه يحتاج اليها ولاتحتاج لسواها(٥). وبذلك يكون العمري قد جمع كل محاسنها ومميزاتها في عبارة لطيفة دلت على قدرة فائقة ومعرفة أكيدة بالمدينة.

---

(١) الاصطخري: مسالك الممالك، ص٥٦.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٨.

(٣) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص٢٠٠.

(٤) البغدادي: مراصد الاطلاع ج٣ ص١٣٤٧. القزويني زكريا بن محمد بن محمود: اثار البلاد اخبار العباد، دار صادر بيروت، د:ت ص٢٧٧ وسيشار اليه فيما بعد القزويني اثار البلاد.

(٥) ابن فضل ا لله العمري، شهاب الدين ابي العباس احمد بن يحيى: مسالك الابصار في ممالك الامصار" دولة المماليك الاولى تح دوروتيا كرافولسكي، المركز الاسلامي للبحوث: بيروت ط١، ١٩٨٦ ص١٨٧ وسيشار اليه فيما بعد العمري: مسالك الابصار؛ القلقشندي: صبح الاعشى ج٤، ص١٠٧.

أما إبن بطوطة فقد زار المدينة في القرن الثامن الهجري وكتب عنها يقول "انها مدينة عظيمة كثيرة الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتوناً(١) ، أما إبن شاهين فقد تحدث عنها بقوله "مدينة حسنه كان بها قلعه هدمت ولها اقليم يشتمل على ثلاثمائة قرية(٢).

أما الحنبلي فقد اشار في كتابة الانس الجليل الى وصفها بأن روى عن المشرف بسنده عن كعب انه قال"أحب البلاد الى الله الشام واحب الشام الى الله تعالى القدس واحب القدس الى الله تعالى جبل نابلس ليأتين على الناس زمان يتماسحون بالجبال بينهم، ثم اخذ في وصف المدينة بقولة "مدينة بالأرض المقدسة مقابل بيت المقدس من جهة الشمال مسافتها عنه نحو يومين يسير الاثقال خرج منها كثير من العلماء والأعيان وهي كثيرة الاعين والاشجار والفواكة ومعظم الاشجار بضواحيها الزيتون وبها كثير من السامرة(٣). أما النابلسي فيصف المدينة نقلاً عن الحنبلي ولا يزيد عن وصفه شيئاً(٤).

أما الرحالة والحجاج الاجانب فقد تحروا في وصفهم لها الدقة ولعلهم في تركيزهم على بعض الجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي يتعرضون لها بالوصف اكثر توسعاً من رحالتنا وجغرافيينا فالحاج الروسي يذكر بانها مدينة واسعة تتوفر فيها جميع الاشياء من مختلف الانواع وتقع بين جبلين مرتفعين جداً ويتخلل المدينة عدد من الينابيع العذبة الباردة ويكثر في اراضيها جميع انواع اشجار الفاكهة مثل التين والبندق والخروب واشجار الزيتون التي تحيط بالسامرة مثل الغابات الكثيفة، وعلى حدودها توجد حقول غنية بجميع انواع الحنطة، وتتسم اراضي

---

(١) ابن بطوطة: أبو عبدا لله بن محمد بن ابراهيم اللواتي: تحفة النظار في غرائب الأمصار المعروفة بأسم رحلة ابن بطوطة، تح طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص٥٦ وسيشار اليه فيما بعد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة..

(٢) ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس روايس، مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤، ص٤٦ وسيشار اليه فيما بعد ابن شاهين: زبدة كشف الممالك.

(٣) الحنبلي: الانس الجليل، ج٢، ص٧٥.

(٤) النابلسي: الحضرة الانسية، ص٧٣-٧٤.

المدينة بشكل عام بجمالها وتنتج الزيت والنبيذ والقمح بكثرة وتستورد مدينة بيت المقدس جميع ما تحتاجة من طعام من هذا المكان وتسمى السامرة في الوقت الحاضر بمدينة نابلس(١).

أما بورشارد فقد تحدث عنها بقوله تقع مدينة شكيم التي تدعى اليوم باسم نيابلوس (نابلس)(٢) بين هذين الجبلين وهي مدينة جميلة جداً ومليئة بالاشياء الجيدة ولكنها غير محصنة(٣).

وبعد فإن قراءة متأنية للنصوص التي سبق عرضها تجعلنا نؤكد ان المنطقة التي نحن بصدد دراستها قد حوت ضمن اطارها الجغرافي على السهل والجبل والغور، وقد تمتعت تبعاً لذلك بإزدهار عظيم وغنى وافر فهي من أخصب المناطق واغناها ولا توجد بها بقعة غير قابلة للزراعة أو خالية من المياه، وقد زرع فيها الكثير من الاشجار والمزروعات المثمرة بحيث غدت جنة يانعة. بحيث يصح لنا أن نعّد العصر المملوكي الاول لولاية نابلس واحداً من ازهى العصور وأكثرها استقراراً وتقدماً في هذا المجال وهو ما سنلمسه بوضوح حين نتحدث عن الحياه الاقتصادية في نابلس.

وبعد أن تحدثنا عن الاوصاف الجغرافية والدلالات التي تستشف من خلالها نتحدث الآن عن الاطار الجغرافي بحدوده وتبعيته الادارية في العصر المملوكي لنتلمس مدى الصعوبة التي يواجهها الباحث في تحديد ولاية مثل ولاية نابلس كون الحدود الادارية للولاية تتأثر بقضية التبعية الادارية والظروف السياسية التي تعيشها الدولة والولاية مما ينعكس عليها اما امتداداً أو تقلصاً، وفي هذا الاطار لا تسعفنا المصادر الاسلامية بحدود دقيقة يركن اليها الباحث فعلى

---

(١) دانيال: رحلة دانيال الراهب، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) سبق ان اشرنا في بداية هذا الفصل وفي معرض الحديث عن التسمية والبناء الى ان مدينة شكيم تختلف كلياً عن مدينة نابلس وذلك ان شكيم دمرت سنة ٦٧م. و لم يقدر لبنائها ان يعاد ثانية أما نابلس فقد شيدت غرب المدينة المدمرة عام ٧١م ولا زالت ماثلة للعيان الى اليوم.

(٣) بورشارد: وصف الارض المقدسة، ص١٠٨.

الرغم من وقوع الولاية في وسط فلسطين، وعلى الرغم من الشهرة الواسعة التي حازتها وعبرت عنها كتابات مصادرنا سابقة الذكر الا ان عملية التحديد الدقيق تبقى بالغة الصعوبة، ولعل الحد الاكثر ضبطاً والذي تجمع عليه المصادر بدقة هو الحد الجنوبي ويعود ذلك الى وجود المدينة المقدسة في تلك الجهة فالمقدسي يذكر بأن حد القدس من جهة الشمال تخوم نابلس(١) وكذلك الحنبلي الذي يذكر بأن نابلس مقابل بيت المقدس من جهة الشمال ومسافتها عنه نحو يومين بسير الاثقال(٢)، وإن الفاصل الذي يفصل بين عمالة القدس وعمالة نابلس قرية سنجل(٣) وعزون(٤) ورأس بنى زيد من أعمال الرملة(٥). أما باقي الجهات فهي غير محددة بدقة واستناداً الى المصادر الاوروبية وبخاصة الرحالة المعاصرين لفترة موضوع البحث فإن الحدود تصبح على الوجه التالي.

من الشمال مدينة جنين(٦) فعند هذه البلدة ينتهي اقليم الجليل ويبدأ اقليم السامرة (نابلس)(٧) ومن الشرق نهر الاردن الذي يبعد عن الحد الشمالي لنابلس حوالي سبعة فراسخ(٨)،

---

(١) المقدسي: احسن التقاسيم، ص١٧٣.

(٢) الحنبلي: الانس الجليل، ج٢، ص٧٥.

(٣) سنجل: بكسر اوله وسكون ثانية وكسر الجيم واخره لام. بليده من نواحي فلسطين وعندها جبّ يوسف الصديق عليه السلام، ياقوت، معجم بلدان ج٣ ص٢٦٤.

(٤) عزون: قرية تقع شمال قلقيلية ويغطي الزيتون مسافة كبيرة من أرضها، محمد شراب: معجم بلدان فلسطين ص ٥٣٢.

(٥) أحمد سامح الخالدي: اهل العلم والحكم في ريف فلسطين جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان ط١ ١٩٦٨، ص٤٣.

(٦) جنين: بلاد حسنة بين نابلس وبيسان من ارض الاردن بها عيون ومياه، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٢ ص٢٠٢.

(٧) بورشارد: وصف الارض المقدسة، ص١٠٣.

(٨) بورشارد: وصف الارض المقدسة، ص١٠٣، سعيد بيشاوي: نابلس ص٣٦، اسعد منصور مرشد الطلاب ص٦٨. الفرسخ: يتألف من ثلاثة اميال اي ان الفرسخ كان حوالي ٦كم. فالترهنس: المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية ١٩٧٠، ص٩٢. وسيشار اليه فيما بعد هنس: المكاييل والأوزان.

أما من الجهة الغربية فتحدها مدينة قيسارية وارسوف*(١)، هذا فيما يتعلق بقضية حدود الولاية اما من حيث تبعيتها الادارية في العصر المملوكي فنحن نعلم ان بلاد الشام قد قسمت في هذا العصر الى وحدات ادارية اطلق عليها نيابات أو ممالك وان عدد هذه النيابات لم يكن ثابتاً بل يتغير تبعاً لظروف السلطنة فوجد هناك نيابات دمشق وحلب وحماه وطرابلس وصفد والكرك(٢)، مع بدايات الدولة المملوكية ثم استحدثت فيما بعد نيابة غزة (٧١١هـ/١٣١١م) ونيابة القدس (٧٩٦هـ/١٣٩٣م) وفي نهاية الدولة المملوكية قلص عدد النيابات بحيث جمعت نيابة القدس وغزة والرملة معاً وصفد وطرابلس الشام وبيروت وصيدا وأعمالها معاً، ودمشق وحماة وحلب وعينتاب(٣). وتعد نيابة دمشق في ظل هذه التقسيمات كبرى النيابات الشامية بل يذكر الخالدي ان نيابة دمشق حوت على ست نيابات هي القدس وصرخد وبعلبك وحمص وعجلون ومصياف(٤). وتبعاً لهذه التقسيمات فقد ادرجت ولاية نابلس في بداية العهد المملوكي ضمن نيابة دمشق(٥) واضحت جزءاً منها إلا ان هذه التبعية لم تحظ بالثبات والاستقرار بل

---

* قيسارية: من اعمال فلسطين الساحلية ويذكر ياقوت انها من اعيان امهات المدن واسعة الرقعة طيبة الهواء كثيرة الجند والاهل فتحها معاوية بن ابي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب وكانت اخر مدينة فتحها العرب على الساحل الفلسطيني وامتدح الرحالة قيسارية واشادوا بحسنها وحسن موقعها وقوة تحصينها ومناعة سورها وقلعتها الحصينة وعيونها المائية الجارية ومسجدها الجامع القريب من البحر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٢١، ناصرو خسرو: ابي معين الدين: سفرنامة المعروفة برحلة ناصرو خسرو ت احمد خالد، جامعة الملك سعود، ط١، الرياض، ١٩٨٣، ص٥٠-٥١.

- ارسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا وكان بها خلق من المرابطين و لم تزل بايدي المسلمين الى ان فتحها جودفري صاحب بيت المقدس في سنة ٤٩٤هـ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٥١-١٥٢

(١) بورشارد: وصف الأرض المقدسة ص١٠٦ وص١٦٢ حيث اشار الى ان الواقف في سبسطية يستطيع رؤية قيسارية وعموم جبال نابلس وانه الى الجنوب من قيسارية وعلى بعد ثلاثة فراسخ تقع ارسوف، مما يعني ان حدود نابلس امتدت في فترة الدراسة الى قيسارية وارسوف.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى ، ج٤، ص ١٨٦، حيث ذكر بأن الممالك المعتبرة في البلاد الشامية ست ممالك.

(٣) أحمد ابن زنبل: تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها ص٣ نسخة مخطوطة لدى الباحث.

(٤) الخالدي: بهاء الدين محمد بن لطف الله العمري، المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٤٧ مخطوط توجد منه نسخة في مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية، شريط رقم ٤٤٣٩.

(٥) اليونيني قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أحمد: ذيل مرآة الزمان مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن، الهند ط١، ١٩٥٤، ج١، ص٧٣، وسيشار اليه فيما بعد. اليونيني: ذيل مرآة الزمان. ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ٤٦. العمري: ممالك الأبصار ، ص ١٨٧.

امتازت بالتغير والتردد فقد فصلت عن نيابة دمشق في حدود سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩) والحقت بنيابة غزة التي تم استحداثها عام (٧١١هـ/١٣١١م)(١).

ولم تلبث هذه التبعية لنيابة غزة ان انتهت والحقت الولاية بنيابه بيت المقدس التي استحدثت سنة (٧٩٦هـ/١٣٩٣)(٢) واصبحت واحدة من بين الولايات الثلاث التي ضمتها نيابة القدس إضافة الى الخليل والرملة(٣). وقد انفرد القلقشندي في موضعين في صبح الاعشى بالاشارة الى ولاية نابلس بالمملكة النابلسية الاول في معرض حديثة عن الهدنة المعقودة بين السلطان الملك الظاهر ت (٦٧٦هـ) ١٢٧٧م وبين مملكة بيروت من البلاد الشامية، وهنا ذكر المملكة النابلسية والصرخدية(٤). والثانية في الحديث عن الهدنة بين الملك المنصور قلاوون وولده الملك الصالح علاء الدين علي حيث ذكر مملكة نابلس وأعمالها(٥) ولما كان اسم مملكة يطلق على الوحدة الادارية الكبرى فهل يعني تميز نابلس بهذه الصفة واللقب تميزاً استقلالياً معيناً خاصة مع اشارته اليها في موضع آخر بالولاية الخامسة الباقية على حالها في الانفراد بالولاية(٦). وقد اختير لادارة شؤون الولاية من قبل المماليك مسؤول كبير اطلق عليه لقب امير أو كاشف، وكان هذا الامير أو الكاشف يعين في البداية من قبل والي النيابة التي تتبع لها نابلس ثم اصبح التعيين فيما بعد يتم من الابواب السلطانية في القاهرة، وقد اورد القلقشندي نسخة بتوقيع لولاية نابلس من قبل السلطان مباشرة طالب فيها السلطان والية بمراقبة الامن والمحافظة على

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، اعتناء بيرند راتكه، فرانزشتاينر، فسبادن، ١٩٧٩، ج١٥، ص٤٨٢. محمود علي خليل عطا الله: نيابة غزة في العهد المملوكي، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٥٩، رسيشار اليه فيما بعد عطا الله: نيابة غزة.

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٤، ص ٢٠٥. غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، الزرقاء، ١٩٨٢، ص١٩. وقد تحدّث الدكتور غوانمة عن قيام النيابة في القدس مستعرضاً التواريخ التي ساقها المورخين ومنهم القلقشندي، ورجح تاريخ ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م معللاً ذلك بخوف السلطان الأشرف شعبان على القدس من الخطر التتري مما جعله يرفع مكانتها الى نيابة لمقارمة هذا الخطر.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠٥. انظر ايضاً البغدادي: مراصد الاطلاع ج٣، ص١٣٤٧.

(٤) القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص٤٥.

(٥) المصدر نفسه والجزء ص٥٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠٦.

ارواح الناس وارزاقهم(١) وقد تبيانت رتبة هـذا الامـير فتـارة يكـون امـير طلبخانـة وتـارة امـير عشرين وتارة امير عشرة(٢) وقد تعاقب على ادارة ولاية نابلس شخصيات ذات مكانـة مرموقـة في الدولة نذكر منهم الحسن بـن يوسـف بـن أيـوب البـدر التركمـاني الـذي ولي نيابـة القـدس والرملة ونابلس والكرك غير مرة في أوقات مختلفة(٣).

وقد حدث في مناسبات عِدة أن أضيف إلى نائب القـدس كشـف الرملـة ونـابلس ومـن هؤلاء السودوني بن عبد الرحمن الذي ناب بالقدس أيام الظاهر جقمق مراراً اضيف اليه كشـف الرملة ونابلس.(٤)

أما عن التطور التاريخي لمدينة نابلس فسأوردها منذ الفتح الاسلامي حيث تمكـن القـائد عمرو بن العاص عندما توجه الى فلسطين من فتـح غـزة ثـم فتـح بعـد ذلـك سبسـطية ونـابلس واعطى اهلها الأمان لأنفسـهم وأموالهـم ومنـازلهم علـى ان الجزيـة علـى رقـابهم والخـراج علـى أرضهم(٥) وكان ذلك في حدود عام ١٥هـ/ ٦٣٦م اما من الناحية الادارية فقـد قسـمت بـلاد الشـام بعـد الفتـح الى اجنـاد وكـانت مدينـة نـابلس تتبـع جنـد فلسـطين وتعـرف بإسـم كـورة نابلس(٦). ولما قامت الدولة الاموية في حدود سنة ٤٠هـ/ ٦٦١ أصبحت فلسطين ومن ضمنهـا نابلس من ضمن أملاك هذه الدولة.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى ج١٢ ص٣١٨-٣١٩.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠٦.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ج٣، ص ١٣١، وسيشار اليه فيما بعد السخاوي: الضوء اللامع.

(٤) نفس المصدر، ج٣، ص١٧٤.

(٥) البلاذري ابي الحسن: فتوح البلدان، تح رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بـيروت ١٩٨٣ ص١٤٤ وسيشـار اليـه فيمـا بعـد البلاذري: فتوح البلدان. ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ص٢٤٣.

(٦) ابن خرداذبة: ابي القاسم عبيد الله: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٩٦٧، ص٧٨-٧٩ وسيشار اليه فيمـا بعـد ابن خرداذبة المسالك والممالك.

وقد أمتازت هذه الفترة بالهدوء اذ لم تشر المصادر الى اية احداث ذات قيمة سياسية في هذه الفترة(١) وبعد سقوط الدولة الاموية ١٣٢هـ/ ٧٤٩م آلت بلاد الشام ومن ضمنها نابلس الى أملاك الدولة العباسية. ونقرأ في هذه الفترة عن قيام أهالي قرية بيت ماما بالشكوى الى الخليفة المتوكل(٢) ضعفهم وعجزهم عن اداء الخراج على عشرة دنانير فامر المتوكل على ا لله بردهم الى ثلاثة دنانير(٣) وكنتيجة طبيعية لضعف ابن السليل الشيباني والي فلسطين الذي تمرد على الخلافة العباسية واستبد بحكم فلسطين بما فيها نابلس سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م الا انه ما لبث ان هزم وقضى على تمرده في ٢٥٦هـ/٨٦٩م(٤).

ثم تبعت فلسطين لحكم والي مصر العباسي احمد بن طولون الذي تمكن من بسط نفوذه على الشام وضمها الى سيادته تحت سمع ونظر الخليفة العباسي المجرد من كل صلاحياته اللهم الا الدعاء له على المنابر وغدت نابلس بذلك من أملاك الدولة الطولونية في مصر(٥).

وبعد ان قضى على الدولة الطولونية وقامت الدولة الاخشيدية غدت نابلس من املاكهم وبقيت على تبعيتها للأخشيد حتى عام (٣٢٨هـ/ ٩٦٨م) حيث ثارت الحرب بينه وبين محمد بن رائق وهي الحرب التي انتهت بتقسيم فلسطين بين المتحاربين وغدت نابلس من أملاك ابن رائق. وذلك أن بنود الاتفاقية نصت على أن تكون الرملة وما وراءها للأخشيد

---

(١) محمد كردعلي: خطط الشام، بيروت ١٩٦٩-١٩٧٢ ج١، ص١٠١ وسيشار اليه فيما بعد كردعلي: خطط الشام.

(٢) المتوكل على ا لله: جعفر بن محمد المعتصم ويكنى ابا الفضل وامه ام ولد طخارستانيه تسمى شجاع بُويع في اليوم الذي توفي فيه الواثق ٦ ذي الحجة ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦م، كان اسمر رقيق البشرة يضرب لونه للصفرة وكان مهيباً شجاعاً رفع المحنة ومنع الجدّل في الدين وصفت له الدنيا فنال منها اعظم الحظ قتل بسامراء في ٣ شوال ٣٤١هـ/٩٥٢م، المسعودي، ابو الحسن بن الحسين بن علي: التنبية والاشراف، دار مكتبة الهلال بيروت ١٩٨١، ص٣٢٩ وسيشار اليه فيما بعد المسعودي: التنبيه والاشراف.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٣.

(٤) ابن الاثير: ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج٥ ص٣٣٤ وسيشار الية فيما بعد ابن الاثير: الكامل في التاريخ.

(٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٨.

وباقي الشام لإبن رائق(١) وبقيت نابلس في حوزة ابن رائق حتى مقتله سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م) حيث عادت مرة اخرى لحكم الاخشيد الذي استمر حتى ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م حيث تمكنت بعدها الدولة الفاطمية من الاستيلاء على مصر والشام(٢) والقضاء وعلى الاخشيدين.

ولقد حاولت الدولة الفاطمية نشر مذهبها الشيعي الا أنها لقيت مقاومة غير يسيره من السكان وقد عبر عن هذه المقاومة اصدق تعبير محمد بن أحمد بن سهل بن نصر أبو بكر المعروف بإبن النابلسي الذي افتى بوجوب قتال الفاطميين مما دفع بوالي الشام الى إلقاء القبض عليه وارساله الى مصر في قفص من خشب وقد خاطب جوهر قائد الفاطميين بقوله "لو كان معي عشرة اسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحد في الروم. فأمر جوهر بسجنه وحشو جلده تبناً(٣) ، مما يدل على عدم استقرار الحكم الفاطمي لفلسطين بل على قيام ثورات عديدة ضدهم ادت الى خروج فلسطين من ايديهم غير مرة مثل ثورة أبي تغلب بن حمدان ضد العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) وثورة بنى الجراح(٤) مما جعل نابلس متغيرة التبعية بين الفاطميين والخارجين عليها. وفي القرن الخامس الهجري ظهر على مسرح الاحداث السياسية الاتراك السلاجقة السنة وقد تمكن هؤلاء من بسط حمايتهم على الخلافة العباسية ونجحو في مد نفوذهم على بلاد الشام والسيطرة على دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م(٥).

---

(١) الكندي: ابي عمر محمد بن يوسف: كتاب الولاة والقضاء: تهذيب رفن كست، مطبعة الاباء اليسوعين، بيروت ١٩٠٨، ص٣٠٦-٣٠٨، وسيشار اليه فيما بعد الكندي: الولاة. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٣١. أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٢٨٦، وسيشار اليه فيما بعد أبو الفدا: المختصر.

(٣) ابن العماد الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت، ج٣، ص٤٦ وسيشار اليه فيما بعد ابن العماد: شذرات الذهب.

(٤) ابن القلانسي: ابي يعلي حمزة: تاريخ ابن القلانسي المعروف بذيل تاريخ دمشق مطبعة الاباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٨ ص٢١،٢٢ وسيشار اليه فيما بعد ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق.

(٥) ابو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٩.

وآلت نابلس تبعاً لذلك للحكم السلجوقي السني وتوقف الاهالي عن إقامة الخطبة للفاطميين واعادوها للخليفة العباسي، وباشر القادة السلاجقة حكم الشام ومن بينها نابلس امثال سقمان وايلغازي إبنى ارتق الذين كانا على نابلس والقدس(١). الا انه وفي سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) اعاد الفاطميون سيطرتهم على القدس ونابلس بسبب انشغال السلاجقة بالصراع الجديد الذي دخلوا فيه مع الفرنجة(٢) ووقف الفاطميون موقف المتفرج الذي لا يعنية من الامر(٣) شيئاً وقد واصل الفرنجة زحفهم في بلاد الشام واستولوا على مدن الساحل الشامي واحدة تلو الاخرى حتى وصلوا بقواتهم الى اسوار بيت المقدس وحاصروها وذلك في (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) وقاومت المدينة ما بوسعها وصمدت صموداً رائعاً امام المعتدين لدرجة اكتشف معها امراء الفرنجة المحاصرين للقدس عن حاجتهم للأكثار من نصب الآت الحصار لاسقاط المدينة فقرروا في المجلس الذي عقدوه في ٥ حزيران (٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م) ان يكفوا عن القيام بأية هجمات اخرى حتى تتوافر لهم المنجنيقات والسلالم التي تمكنهم من اقتحام المدينة غير ان الحاجة الى المواد الخام اللازمة للتصنيع دفعتهم للقيام بالبحث عنها وقد وصلتهم امدادات تمثلت في ست سفن رست في ميناء يافا حاملة معها المؤن والاسلحة والحبال والمسامير اللازمة لصناعة ادوات الحصار الا ان الحاجة ظلت قائمة وماسة للخشب اللازم للبناء وكان عليهم ان يرسلوا بحملات سارت أميالاً لكي تحصل على الخشب و لم يبدأ العمل في صناعة ادوات الحصار الا بعد ان اوغل تانكرد وروبرت فلاندرز باتباعهما حتى بلغوا الغابات الواقعة حول منطقة نابلس وعادوا بكتل والواح من الخشب تحملها الابل والاسرى المسلمون فتمت صناعة السلالم اللازمة لتسلق الاسوار(٤). وقد تم دخول المدينة بوحشية حيث اباد الفرنج كل سكان المدينة

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٢١١.

(٢) النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الارب في فنون الادب، تح محمد محمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ص٢٤٦-٢٤٧ وسيشار اليه فيما بعد النويري: نهاية الأرب.

(٣) مجهول: اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ت حسن حبشي دار الفكر العربي د.م ١٩٥٨ ص١٧٧وسيشار اليه فيما بعد مجهول: اعمال الفرنجة.

(٤) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ت الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ج١، ص٤١٩-٤٢٠.

والذين قدرتهم المصادر الاسلامية بسبعين الف مسلم(١) ، وبعد ان استقرت الأمور للفرنجة في بيت المقدس صارت الخطوة التالية امامهم الاستيلاء على بقية المدن الفلسطينية ويبدو ان هذه العملية لم تواجه صعوبات كثيرة ذلك ان موجة العنف التي رافقت عملية سقوط القدس كانت كافية لبث الذعر في نفوس سكان المدن والقرى المجاورة وذلك كان من ضمن استراتيجيات الفرنج التي اتبعوها في المناطق الاخرى فضلاً عن خلو تلك المدن من وسائل الدفاع الضرورية للوقوف في وجه الأعداء(٢).

فبادر سكان نابلس الى الاسراع بالاستسلام وارسال وفد الى الفرنجة لدعوتهم الى استلام المدينة فسارع تانكرد يساعده يوستاش البويوني لاستلام المدينة دون قتال في عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م (٣) على رأس فئة كبيرة من الفرسان والمشاه وبلغا المدينة التي سرعان ما أعلن اهلها استسلامهم(٤) وبعد استلامهم نابلس شرع تانكرد بالتوجه منها الى جنوب الجليل في الشمال حيث شرع في تكوين امارة عرفت فيما بعد بإسم امارة الجليل وشكلت مدينة نابلس ركناً مهما من اركان هذه الإمارة. وبعد وفاة الملك غودفري دي بويون سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) وتولى بلدوين الاول عرش المملكة وكنتيجة لما حل بانطاكية من ضربات على يد المسلمين ادت الى اسر صاحبها الامير بوهيمند اضطر تانكرد للرحيل الى انطاكية سنة (٤٩٥هـ/ ١١٠١) ليخلف خالة في قيادة انطاكية فقام بلدوين الاول بمنح امارة الجليل لهيو اوف سانت أومر بعد أن فصل عنها حيفا التي اعطاها لجالديمار كارنبل ونابلس التي احتفظ بها كمقر مدينة ملّكية او اقطاعية خاصة يشرف عليها بنفسه(٥) ، وقام بلدوين تبعاً لذلك بوضع حامية افرنجية فيها لحفظ الامن كما قام ببناء قلعة على جبل جرزيم لحماية المدينة وايواء الجند ويبدو ان بناء القلعة جاء بسبب عدم الفائدة من تحصين نابلس نفسها(٦).

---

(١) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص١٩.

(٢) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،ط٣، ١٩٧٨،ج١، ص٢٤٦.

(٣) Enlart, les monuments des Croises Vol II P.283.

(٤) مجهول: اعمال الفرنجة، ص١٢٠ محمد مؤنس: الرحالة الاوروبيون في مملكة بيت المقدس، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٢، ص٩٩.

(٥) بيشاري: الممتلكات الكنيسة، ص٧٤.

(٦) بورشارد: وصف الارض المقدسة، ص١٠٨.

وفي سنة (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) منح بلدوين قسماً من مدينة نابلس كاقطاع لاسرة ميللي Milly كما قام بتعيين نائب عنه في نابلس حمل لقب Viscount لادارة شؤون المدينة(١) ، والتي كانت ملزمة بتقديم الخدمات العسكرية لمملكة بيت المقدس وكذلك الزام رعاياها من المسلمين بدفع ضريبة العشر للكنيسة اللاتينية(٢). وقد أبدت مدينة نابلس في ظل الاحتلال الفرنجي ضروباً من المقاومة العنيفة ضد هذا الوجود وحاولت بكل ما تستطيع الخروج من دائرة الاحتلال الفرنجي وان لم تستطيع تحقيق هذا الهدف فإن هذا لم يمنعها من تقديم المساعدة للقوات الاسلامية التي كانت تجتاح المنطقة بين فترة واخرى ومن ذلك.

ما حدث سنة (٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حينما قام كل من الامير مودود صاحب الموصل والامير طغتكين صاحب دمشق بالتوغل بقواتهما داخل حدود فلسطين حتى وصلا الى طبرية(٣). وأوقعا الهزيمة ببلدوين الاول الذي خرج للقائهما واضطر أمام شدة الهجوم الى الالتجاء لاحد التلال القريبة من طبرية مما دفع بالامراء المسلمين الى حصاره بغية القضاء على ما تبقى من قواته(٤) وفي اثناء المحاصرة قامت قوة إسلامية من قوات دمشق والموصل بشن هجوم على نابلس وتدميرها وقد أشار المؤرخون المسلمون والصليبيون الى قيام سكان نابلس بمساعدة القوات الاسلامية(٥) الا ان انتهاء الغارة وانسحاب القوات الاسلامية قد دفع بالفرنجة على الارجح الى القيام باعادة اعمار المدينة ولابد ان الاهالي صادفوا عنتاً وقسوة من الفرنجة لوقوفهم مع اخوانهم المسلمين في هذه الاعمال وكذلك تحركت القوات الدمشقية (٥٣٢هـ/١١٣٧م)

(١) la Monte,L.,: The Viscounts of Naplouse in the twelfth Century dans syria 1938 P.P 272-278.

(٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٤٧٧، ٤٨٧.

(٣) إبن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٦.

(٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

(٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦-١٨٧، فوشية الشارتري: تاريخ الحملة الى القدس، ت زياد العسلي، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٠، ص٢٠٧، وسيشار اليه فيما بعد فوشية الشارتري: تاريخ الحملة الى القدس.

مستفيدة من تحرك حامية نابلس لنجده الملك فولك في السيطرة على المدينة وقتل سكانها النصارى باستثناء اولئك الذين أستطاعوا اللجوء الى القصر والقلغة ثم احرقت المدينة(١).

ويتحدث أسامة بن منقذ في مذكراته عن المقاومة الشعبية التي قام بها اهالي نابلس ضد وجود الفرنجة وهي مقاومة تعبر عن الرفض الاسلامي للاحتلال الفرنجي لاراضينا ومن ضمن صورها قيام رجل من نابلس بالاحتيال على الحجاج المسيحيين والتعاون مع أمه وكان يقوم بقتلهم(٢).

وفي عهد الملك فولك (٥٢٦- ٥٣٨هـ) (١١٣١-١١٤٣م) وتحديداً في عام (٥٣٤هـ/ ١١٣٩م) شهدت المدينة زيارة الاميرين معين الدين أنر وأسامة بن منقذ بدعوه من اولريك Olerek فيسكونت نابلس وهما اللذان ارتبطا معه بعلاقات مودة وصداقة ومع ذلك نقل لنا اسامة انطباعاته عن مدى الظلم والتعسف الذي عاناه سكان نابلس في ظل الاحتلال الفرنجي(٣)" وفي عام (٥٤٥هـ/ ١١٥٠م) شهدت مملكة بيت المقدس صراعاً بين بلدوين الثاني وامه الملكة ميلسند على السطلة وانتهى الصراع بإتفاق بين الطرفين بموجبه قسمت المملكة بين الفرقاء لتكون القدس ونابلس من نصيب الملكة الام(٤).

وبعد وفاة الملكة الوالدة قام الملك باسترجاع نابلس والقدس وضمها الى اقطاعاته غير انه توفي (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م). دون أن يترك وريث للعرش فتسلم اخوه Almaric (٥٥٨-

(١) Enlart, les Monument des Croises P. 283.

(٢) اسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار تحرير فيليب حتى جامعة برستون الولايات المتحدة ١٩٣٠، ص١٧٧و١٧٩ وسيشار اليه فيما بعد اسامة بن منقذ: الاعتبار.

(٣) اسامة بن منقذ: الاعتبار ص١٧٧و١٧٩.

(٤) Enlart, les monument des croises P. 283.

٥٧٠هـ/١١٦٢-١١٧٤) الـذي منـح نـابلس كاقطـاع لمـاري كومنيينـا ابنـة اخـي الامـبراطور البيزنطي مانويل كومنين اثر زواجهما(١).

وفي عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧ منح الملك القائمين على كنيسة القيامة ارضاً في نابلس اقـاموا عليها كنيسة بإسم آلام السيد المسيح Possion وقيامته وهي الكنيسة الـتي اصبحـت فيمـا بعـد الجامع الكبير(٢) ومـع قيـام الدولـة الايوبيـة في مصـر (٥٦٩/١١٧٣م) تغـير مـيزان القـوى بـين المسلمين والفرنج لصالح المسلمين خاصة بعد ان تم توحيد بلاد الشام ومصر تحت قيـادة صـلاح الدين وهو ما سنعرض له في الفصل الثاني عند الحديث عن نابلس في ظل الحكم الايوبي.

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢ ص٦٠٩.

(٢) Enlart, les Monument des croises P.P 283/284.

طبوغرافية مدينة نابلس

لقد ضمت نابلس أربع نواح حي ناحية جبل قبلي، ناحية جبل شامي (الشمالي) وناحية قاقون وناحية بني صعب.[١]

ولقد كانت معظم بيوت نابلس مبنية من الحجر وتشبه الحصون ولم يوجد بها أي بيوت مبنية من الخشب[٢] ولقد كانت هذه البيوت مكونة من طابقين فوقاني وتحتاني[٣].

وكانت نابلس تشتمل على العديد من المحلات كمحله الريش، وحبله، وغرب، والدباغة وقريوت وياسمينة، وعقبة، والعامود، وفاخوره، والجوره، والسوق الشقي، وقيسارية وميدان، وكانت هذه المحلات ترتبط بمركز المدينة حيث السوق الرئيسي المعروف بالسوق السلطاني عن طريق عدة شوارع منها شارع حمام الشجاع في محله ياسمينه وشارع العافيط في محلة الغرب، وشارع البلاط وشارع عين حسين وكانت هذه الشوارع تبدأ من وسط المدينة حيث الجامع الكبير والسوق المحيطين وتمتد الى محلات المدينة المختلفة[٤].

ولقد وجد في نابلس العديد من الأسواق غير السوق السلطانية وكانت هذه الأسواق تسمى حسب موقعها من المدينة أو حسب السلع أو المهن المتداولة منها: سوق عين السوق، وسوق المربعة، والسوق الغربي، والسوق الشرقي، وسوق الغزل، وسوق السكانية، وسوق النجارين وسوق اللحامين، وسوق العطارين[٥].

ولقد حظي سوق السلطان بمكانه مميزه لكونه من أضخم أسواق نابلس ومدنها، فقد كان مبنياً من بوابات حجرية وتغلق يومياً مع قدوم الليل وكان بطول ٢٠٠١ خطوة ويتكون من ٣٧٠ دكان على الجانب وكلها كانت مرتبة وبالرغم من وجود اسواق متخصصة في بيع

---

(١) محمد عدنان البخيت: نابلس ونواحيها في القرن السادس عشر على ضوء الوقفيات التي تحتفظ بها سجلات الدولة العثمانية، مجلة المنارة، مج١، جامعة آل البيت، ص٩٠ وسيشار اليه فيما بعد البخيت: نابلس ونواحيها.

(٢) Evliya Tshelbis: Travels in Palestine, the Quartery of the Deptat Anliquitces in Palestine, val IX No1. p13 وسيشار اليه فيما بعد Evliya Tshelbis: Travels in Palestine.

(٣) البخيت: نابلس ونواحيها ص ٣-٩.

(٤) البخيت: نابلس ونواحيها، ص٩٠.

(٥) البخيت: المرجع السابق، ص٩٠.

بعض الأدوات الا انه كان يناع هنالك كل شيء تقريباً، وفي مركز السوق كان هنالك ١٠٠ دكان على جانبية ذات ممرات مسقوفة والى يسار السوق كان يوجد حصن يشبه الخان الضخم مع وجود مواقد متجاورة في الوسط بسقف رصاصي(١).

أما بالنسبة للدكاكين فقد اختصت هذه الدكاكين ببيع سلع محدده ومن ذلك دكانان اختصا ببيع الحلويات التي اشتهرت بها نابلس، وكان هنالك دكان اشتهر ببيع حب الهال ودكاكين اختصت ببيع العنب وهكذا(٢).

وقد وجد في نابلس العديد من معاصر الزيت، والمصابن وعدد كبير من الحمامات(٣)، ومرافق آخرى مثل المسالخ والطواحين حيث وجد في نابلس اكثر من أربع عشرة طاحونة موزعة على محلات نابلس وجوارها، بعض هذه الطواحين شتوي أقيم في الأودية كوادي الفارعة، ووادي البيدان، ووادي نابلس، وبعضها كان يتكون من حجر كطاحونة الشاغورية التي كانت تتكون من أربعة احجار، وطاحونة العقبة وقد كان يلحق بهذه الطواحين أفران(٤).

---

(١) Evliya Tshelbis: Travels in Palestine P 139.

(٢) البخيت: نابلس ونواحيها، ص٩١، ولمزيد من التفصيلات عن دكاكين نابلس أنظر محمد البشرلي وآخرون، املاك وأوقاف المسلمين في فلسطين. مركز الأبحاث للفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، د.ت، أنظر من ص٨٥ -٩٣ وسيشار اليه فيما بعد ابشرلي: املاك واوقاف المسلمين.

(٣) سنتحدث عنها بالتفصيل عند الحديث عن العمران الفصل الخامس.

(٤) البخيت: نابلس ونواحيها، ص٩٢.